2016 ميشال عون رئيساً

لماذا لم يصفق «باشو» لميشال عون؟

ليس ميشال عون رئيساً نموذجياً بالنسبة لكل اللبنانيين، رغم أنه «وصل» بغالبية من منح اللبنانيون أصواتهم إليهم. غالبية ما يعرف بقوى «14 آذار» انتخبته أمس، إضافة إلى حزب الله، الخصم الرئيسي للفريق الذي ما زال يسمّي نفسه ــ بجدية وبلا مزاح ــ «14 آذار». ميشال عون ليس علمانياً بقدر ما هو مسيحي، وليس دخيلاً على النظام. لم يهبط بالباراشوت إنما هو مشارك تقليدي في النظام خلال السنوات الأخيرة تحديداً. لم يسبقه إلى رئاسة الجمهورية اللبنانية ميشال فوكو، ولا جان بول سارتر. رؤساء لبنان معروفون. ومعروف أيضاً كيف ينتخبون. وهم ليسوا «استقلاليين» أكثر من ميشال عون، أو «ثوريين» أكثر منه، أو حتى «إصلاحيين». لم يكن أحد منهم ضدّ النظام في سوريا. لماذا يتضاعف الهجوم على عون، الذي صار أخيراً، عند كثيرين، «الخطر على الجمهورية»؟

يمكن الحديث عن عداء «وظيفي» لحزب الله يتستر بالهجوم على عون (هيثم الموسوي)

أحمد محسن

اللافت في «ترند» شيطنة عون، هو أن النقد ليس ضدّ الصيغة، بقدر ما هو ضدّ عون

ثمة حديث بعنصرية عن سِن الرجل، وأحياناً يكون الكلام ذكوريا وبطال زوجته

Trendy.

الهجوم على ميشال عون «ترندي». والكلمة، تعني حدوث «اتّجاه» ينمو ويتعاظم، بحيث يصير التعارض معه خطأً كبيراً. والترند موضة «ليبرالية» تجد حريّة الحركة والتطور في المجتمعات «الديموقراطية»، أو التي تفترض أنها كذلك. لبنانياً، يمكن الحديث عن لحظة هزيمة ساطعة لقوى يمثّل ميشال عون كل ما لا ترغب به. وهذه القوى هي التي ستنتخبه، من تيار المستقبل والقوات اللبنانية وغيرهما. ويمكن الحديث عن عداء «وظيفي» لحزب الله يتستر بالهجوم على عون. في السياسة يمكن الحديث عن تحليلات لا تنضب. بيد أن الهجوم على عون يأتي في زمن «السوشال ميديا»، حيث يصير «الموقف» من عون معيارياً، ويحاول كثيرون أن يصوروا وصول عون إلى الرئاسة على هذا النحو. وهذه «المعيارية»، بالنظر إلى ما كان قبل عون، وما سيأتي بعده في المدى المنظور، لا تفسير لها، سوى أنها «موضة»، قد لا تكون «مدفوعة الأجر دائماً»، كي يقول أحد «نظرية مؤامرة». وكونها «موضة»، فهذا مضر بالفكرة الاعتراضية نفسها، أكثر من كونه مضراً بعون. وهذا دائماً، بالقياس إلى درجة القبول والرفض للرؤساء السابقين للبنان، لا بالقياس إلى جدية النقد لعون، ولأهلية صاحب النقد بالإدلاء به. وهذا ليس ضدّ حرية التعبير، إنما هو دفاع «بسيط» عن المنطق. فلنفترض السيناريو الأكثر سوريالية: الرئيس فؤاد السنيورة مثلاً، ضدّ عون، لأنه (عون) «فاسد». سوريالية، لا؟

في الواقع، لدى المنظرين الديموقراطيين الليبراليين، نظريات «تقدمية للفكر الليبرالي الديموقراطي»، يمكن الاستفادة منها، في معرض قراءة «الاستنفار» ضدّ عون. ودائماً، ليس بوصفه استنفاراً مشروعاً، إنما بقدر ما هو استنفار «غير مسبوق»، يستوقف الناظر إليه. أحد أهم محللي السياسة الخارجية والداخلية الأميركية، والتر ليبمان، الذي كان فخوراً بـ«لجان الدعاية» والتحدث باسم انجازاتها. يقول ليبمان، بلا أي حرج، في إحدى محاضراته، إن «الثورة في فن الديموقراطية، تكمن في تطويع هذا الفن، لخدمة ما يصفه بتصنيع الإجماع، بمعنى جعل الرأي العام يوافق على أمور لا يرغبها بالأساس، عن طريق استخدام وسائل دعائية. إنها فكرة جيدة وضرورية». حسب نظرية ليبمان، يمكن لنخبة صغيرة، أو «مجتمع المفكرين»، كما يسمّيه، تتمتع بالذكاء التي يتاح لها فهم وإدراك الأمور، أن تصنع «الرأي العام». وهذه الفكرة ليست ليبرالية حصراً، بمعنى أنها «مؤامرة أميركية للسيطرة على العالم»، كما سيحلو للكثيرين تفسير الأمر. إنها فكرة لينينية أيضاً، بحيث يقول الأخير بوجود طلائع مفكرين ثوريين تستولي على السلطة لتوظيف الثورات الشعبية وتنظم حركة البروليتاريا. هناك «نظام ما» يعمل، ولا أحد بمنأى عن هذا النظام. هل هناك «نخبة صغيرة» في لبنان، في الوسط الصحافي أو غيره، تعمل في هذا الإتجاه؟ غالباً الإجابة هي نعم. وهم «أصحاب رأي» بطبيعة الحال، في التعريف السائد. لكن هذا الرأي بعون يستوقف الناظر إليه عندما يقارن بآراء أصحابه بخصوم عون الذين يشبهونه في التركيبة والمنشأ والإنتماء إلى «النظام اللبناني» أحياناً بدرجةٍ أكثر إيغالاً.

يتعرض عون لحملة لم يتعرض لها أي رئيس سابق، حتى من الذين جاؤوا في «زمن الوصاية» السورية. ما يرد من مقالات وستاتوسات وانطباعات «هوائية» و«متلفزة»، مفاده: إنتخاب عون حدث جلل، الجمهورية ستنهار. عون خطر على الجمهورية. عون ليس لبنانياً. وكي لا ننسى استرجاع «حادثة البيجاما الزهرية» وابتذالها، مرةً تلو المرة، على مواقع التواصل الإجتماعي. وهناك الحديث بعنصرية عن سِن الرجل، وأحياناً يكون الكلام ذكوريا وبطال زوجته. ليس عون شخصاً نموذجياً، أو مرشحاً نموذجياً، وتجربة فريقه ليست «مثيرة للإعجاب» بنظر كثيرين، حتى أن المقربين منه أفرطوا في استعراضات وصلت أحياناً إلى العنصرية الموصوفة. لكن، هل العنصرية جديدة على اللبنانيين؟ ليست هذه دعوة لقبول العنصرية. ولكن، لماذا استغرابها في الحالة «العونية»، و«تسويغها» و«تمييعها» في الحالة «الكتائبية» مثلاً؟ في أية حال، إليكم الحقيقة المرّة: الشخص النموذجي غير موجود. في الحالة اللبنانية يمكننا الجزم أنه غير موجود. حتى «كليشيه» العهد الشهابي وميزاته لا تصنع من الرئيس فؤاد شهاب رئيساً «نموذجياً». وكي لا يبدو هذا دفاعاً عن عون، إنه بالتحديد بحث في صياغة «ترند» شيطنة عون، إلى حدٍ مبالغ فيه، كما لو أنه «من خارج الصيغة اللبنانية»، أو أن لبنان كان سيصير ديموقراطياً وإصلاحياً مع جان قهوجي وجان عبيد وهنري حلو. هل كان انتخاب سليمان فرنجية مرشح الحريري الرئيسي، سيجعل لبنان «خارج الوصاية الإيرانية» (وهذه ترند عنصرية أخرى تتجاهل أن حزب الله يكاد يمثل ربع اللبنانيين)؟ لا إجابة.

يمكن استعادة بدايات عهد إميل لحود أيضاً، لصعوبة استعادة عهد ميشال سليمان، الخالي من أي شيء إلا من السفرات والرحلات الجوية الصاخبة وإعلان بعبدا المضجر. صحيح أنه على أيام إميل لحود لم يكن هناك فايسبوك. ولكن كان لحود «الأمل الجايي». حتى أنه شاهد مباراة نادي الحكمة الرياضي، وصفق له «باشو»، قارع الطبل الحكماوي ـ القواتي الشهير. بمعنى أن لحود، في بداية وصوله للعهد، لم يكن «خطراً على الجمهورية». ذلك رغم أن آلية وصول لحود، بالمعنى الدستوري، كانت أكثر التباساً، بحيث تم تعديل الدستور، وكان الزمن، «زمن وصاية». ولا نتحدث عن نهاية عهد لحود، ولا عن تقييمه، ولا عن رفض الرافضين له منذ البداية. الحديث هنا عن «المزاج العام»، هذا الذي يحتاج إلى «تفكيك». في وقتٍ من الأوقات، كانت «14 آذار» نفسها حالة «ترندية» بحد ذاتها، على عكس «8 آذار» التي لم تكن في يوم من الأيام كذلك. لطالما كانت الأولى براقة وباهية، والثانية باهتة ـ ويمكننا استخدام بعض المصطلحات الصحافية اللبنانية ـ لطالما كانت «8 آذار» خشبية. الترند حالة سياسية لبنانية، قابلة للتطور والحركة في المجتمع اللبناني الذي